تدريس الحوار والأديان
ضمن مادة التربية الإسلامية

علي زلماط
أستاذ السلك الابتدائي بوزارة التربية الوطنية -المملكة المغربية-
دكتوراه في الفكر الإسلامي ومقارنة الأديان
Ali.zalmat@gmail.com
د.فؤاد الغزيزر
أستاذ التعليم العالي مساعد
كلية اللغات والفنون والعلوم الإنسانية
جامعة الحسن الأول سطات-المغرب
fouad.larhzizer@uhp.ac.ma

ملخص:
يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهمية مادة التربية الإسلامية في تدريس الحوار، بالمملكة المغربية، من خلال المنهاج المؤطر والمقررات الدراسية، وذلك باستقراء الدروس والنصوص التي تدعو إلى الحوار. ويأتي هذا البحث أيضا للدعوة إلى تدريس مادة دراسة الأديان أو علم الأديان بالتعليم الثانوي ضمن مادة التربية الإسلامية، لما لها من أهمية في بناء النظام الدفاعي العقائدي للفرد تجاه الأفكار الدينية الوافدة عليه، وتكوين شخصية المتعلم على حسن التواصل والتفاعل مع الآخر البعيد.
الكلمات المفتاحية: الحوار – الأديان – التربية الإسلامية – التدريس – المنهاج.

Abstract:

This research aims to identify the importance of the subject of Islamic education in teaching dialogue, in Moroccan kingdom, from the courses of all levels, and the framed curriculum, by extrapolating lessons and texts that invite dialogue. This research also comes as an invitation to teach the subject of the study of religions or the science of religions in secondary education within the subject of Islamic education. Because of

its importance in building the individual’s doctrinal defense system against the religious ideas that come to him, and the formation of the learner's personality on good communication and interaction with the distant other.

Keywords: Dialogue - Religions - Islamic Education - Teaching - Curriculum.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يشمل هذا الموضوع ثلاثة عناصر أساسية وهي: الحوار، الأديان ثم مادة التربية الإسلامية. أي أنه سيتناول إشكالية تدريس الحوار والأديان ضمن مادة التربية الإسلامية، بمعنى آخر هل يمكن تدريس هاذين العنصرين ضمن هذه المادة ومن قبل مدرسها المتخصص.

إذا علمنا أن المقصود بمادة التربية الإسلامية هي تلكم المقررات والمناهج التي تعمل على نقل المعرفة العالمة من مصادرها الأصلية والمتخصصة وتحويلها إلى معرفة قابلة للتعلم والاستيعاب، تراعي مستوى إدراك المتعلم، ومن ثم التربية نحو تحقيق أهداف وغايات كبرى، حددتها الجهات المسئولة من قبل، وفق تصور ومعايير تراها مناسبة للتنزيل والتطبيق.

وأن علاقة هذه المادة بقيمة الحوار تتجلى في وظيفة تربية الفرد على قيمة الحوار وتأهيله، من حيث كونه فردا مجتمعيا، إلى حسن تدبير الاختلاف انطلاقا من المرجعية الإسلامية كمصدر معرفي ينظر إلى الغير أخا في الإيمان أو في الإنسانية.

وأن علاقة هذه المادة بدراسة الأديان أو علم الأديان فالقصد هو خلق هذا التخصص المعرفي وإدراجه ضمن المواد الدراسية للسلك الثانوي، لما له من أهمية في تكوين شخصية المتعلم في قدرته على التعرف على الآخر البعيد من حيث الانتماء العقدي والديني وحسن التواصل وتقليص فوارق الخلاف معه.

وعملنا في هذه الورقة سيقتصر على مادة التربية الإسلامية وفق المنهاج المغربي، ومكانة الحوار ضمن الأهداف المسطرة، وضمن المقررات المختارة للتدريس، وإمكانية إدراج تخصص دراسة الأديان ضمن هذه المادة في السلك الثانوي كمادة دراسية تسهم في صقل شخصية المتعلم وإعداده معرفيا ومنهجيا للتواصل مع الآخر البعيد.

المحور الأول: شرح المصطلحات

ما دام محور البحث يدور حول ثلاثة عناصر: الحوار، التربية الإسلامية وعلم الأديان، فإن المقام يستدعي أن نفرد هذه المصطلحات بشيء من التوضيح والتعريف، ونقول بعون الله:

أولا: الحوار:

يدل الحوار في ثقافتنا الإسلامية على المراجعة في الكلام، فقد جاءت مادته (ح و ر) في القواميس والمعاجم اللغوية تفيد المعاني الآتية: الرد، الجواب، مراجعة الكلام، الاستنطاق، المجاوبة، المخاطبة، عدم رجوع الخبر...[1]

وفي الاصطلاح هو: " نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم في تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، يغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب".[2]

وعليه فالحوار بالمفهوم القرآني هو تفاعل حضاري، يقع بين شخصين ذاتيين أو معنويين أو أكثر...ينشدون التعايش السلمي والتعاون الحضاري، دون الالتفات إلى اختلاف اللون أو اللسان أو الأفكار أو المعتقدات الدينية.

ثانيا: مفهوم التربية الإسلامية:

تعرف مادة التربية الإسلامية حسب "منهاج التربية الإسلامية" الذي أعدته وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب، في يونيو 2016، بأنها "مادة دراسية تروم تلبية حاجات المتعلم الدينية التي يطلبها منه الشارع، حسب سيروراته النمائية والمعرفية والوجدانية والأخلاقية وسياقه الاجتماعي والثقافي. ويدل هذا المفهوم على تنشئة الفرد وبناء شخصيته بأبعادها المختلفة الروحية والبدنية، وإعدادها إعدادا شاملا ومتكاملا، وذلك استنادا إلى:

المبدأ: ضرورة الاستجابة للحاجات الدينية الحقيقية.

الغاية: اكتساب القيم الأساسية للدين المتمركز حول قيمة "التوحيد".

المداخل: "التزكية"و"الاقتداء"و"الاستجابة"و"القسط"و"الحكمة".[3]

ثالثا: مفهوم علم الأديان:

نعرف علم الأديان بـالعلم الذي يدرس الدين (أو الأديان) دراسة علمية موضوعية، وبمنهج علمي رصين، من حيث النشأة والتطور والانتشار والأتباع أولا، ومن حيث العقائد وباقي الأركان والأسس التي ترتكز عليها ثانيا، ومن حيث إبراز أوجه الاختلاف والاتفاق والتشابه فيما بينها ثالثا.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا المصطلح «علم الأديان» بعينه دون غيره، عَلَما لهذا الحقل المعرفي إلى كونه، وحسب علمنا، مصطلحا جامعا وشاملا لمعاني الدراسة العلمية للأديان أو

---

[1] مجد الدين محمد، الفيروز آبادي. (1419هـ/1998م). القاموس المحيط.. ط 6 مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ص: 380-381. وابن منظور.(د.ت) لسان العرب.(د.ط). دار صادر. بيروت. لبنان. ج4، ص: 217-218.

[2] يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي. (1414هـ/1994م). الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. ط 1. دار التربية والتراث (مكة المكرمة). رمادي للنشر (الدمام). ص20.

[3] مديرية المناهج. (يونيو 2016). منهاج التربية الإسلامية لجميع المستويات الدراسية بالتعليم الابتدائي العمومي والخصوصي. د ط. الرباط- المغرب. ص: 2.

للدين؛ فهو يشمل إلى جانب الدراسة التاريخية للدين دراستين على المستوى الداخلي والخارجي. نقصد بالدراسة الداخلية، دراسة الدين على مستوى العقائد والشرائع والأركان التي يرتكز عليها، أما الدراسة الخارجية، فإننا نقصد بها تلكم الدراسة المقارنة بغيره من الأديان، وأما الدراسة التاريخية فإننا نقصد بها دراسة تطور الدين منذ ظهوره، من حيث الأتباع والانتشار، وتطور مظاهر التدين وتغيراته، وتجلياته كذلك على المستوى السلوكي، وآثاره المادية والمعنوية على مختلف مناحي الحياة، والتي يمكن أن نسميها بالآثار الحضارية للدين والتدين.

ويمكن أن نعرف علم الأديان تعريفا بيداغوجيا بالمادة الدراسية التي تروم إكساب المتعلم مجموع المعارف والمهارات المتعلقة بالدرس الديني.

المحور الثاني: أهمية الحوار

تكمن أهمية الحوار فيما يلي:

1. يعتبر وسيلة من وسائل الاتصال الفعالة، التي تؤدي إلى الأخوة الدينية بين المسلمين، والتآلف والتعاون مع غيرهم من الشعوب والأديان الأخرى.[4]
2. تعزيز التعارف الحضاري وتدعيم التعايش الإنساني الذي يحدد موقع المسلمين في الساحة العالمية.
3. السبيل إلى محاربة الظلم، وتجنب التعصب الديني والقومي، ونبذ التطرف والمغالاة.
4. الاعتراف بالتنوع الإنساني المستمد من تمايز الأقاليم، والألسن، والعادات، والخلاق، والدين.
5. يعتبر آلية حضارية تجعل المسلمين يكتشفون في غيرهم عناصر التقدم، وأسباب النهوض الحضاري، والمكونات الحية في الحضارات الإنسانية، وفي أنفسهم عوامل التخلف ومسبباتها، ثم كيفية الأخذ بأسباب التقدم وقوانين النهوض.
6. وسيلة للبحث عن القوائم المشتركة العامة بين الحضارات في المجالات المختلفة، وبخاصة مجالات الثقافة والفنون والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وكذا في مجال العدالة والحريات الإنسانية.[5]

المحور الثالث: التربية على الحوار "من أهداف مادة التربية الإسلامية"

---

[4] ينظر: قمر محمد بخيت ماجي. (د ت). إستراتيجية الحوار في القرآن الكريم. المؤتمر الرابع. الخطابة المناظرة والحوار: نحو تأصيل منهجية التمكين في مؤسساتنا التعليمية. مركز مناظرات قطر. 11-13 يناير2013. الدوحة. قطر. نشر بالاشتراك مع "QSCIENCE.com. الفصل العاشر. ص: 13. رابط المقال: https://www.academia.edu/20030398

[5] ينظر: عباس محجوب. (2006م). الحكمة والحوار" علاقة تبادلية".(د ط). جدار للكتاب العالمي (عمان ـ الأردن) وعلم الكتب الحديثة (إربد ـ الأردن). ، ص: 250-251-252.

تقوم مادة التربية الإسلامية وفق المنهاج الجديد (المغربي) على خمسة مداخل، كلها تنصب في إعداد وتكوين الشخصية المسلمة للفرد، والتي تؤهله إلى الاندماج والتفاعل مع محيطه، والذي لن يتحقق إلا عبر قوة الحوار والتواصل، الذي يعد هدفا أساسيا لهذه المادة وفق المنهاج الجديد. وهذه المداخل هي:

أولا: التزكية: يقصد بها تزكية النفس وتطهيرها بتوحيد الله تعالى وتعظيمه ومحبته. لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ[6].﴾

ثانيا: الاقتداء: يقصد به معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلا وقائع السيرة وشمائله وصفاته الخلقية والخلقية، باعتبار النموذج البشري الكامل. لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً [7].﴾

ثالثا: الاستجابة: ويقصد به تطهير الجسم والقلب لتأهيل المؤمن لعبادة الله وشكره بالذكر والدعاء. لقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[8].﴾

رابعا: القسط: ويقصد به تعرف المتعلم مختلف الحقوق: حق الله في التعظيم والتنزيه، وحق النفس في التربية والتهذيب، وحق المخلوقات في الإصلاح والرعاية، وحق الخلق في الرحمة والنفع والنصح. لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ[9].﴾

خامسا: الحكمة: وتعني إصلاح النفس وتهذيبها والسمو بها وتطهيرها وفق توجيهات الشرع، بما يرفع الفرد إلى مستوى الإيجابية والمبادرة بالأعمال الصالحة، للتقرب إلى ربه عز وجل وتعميم النفع وإتقان الأعمال وفق قيم الرحمة والتضامن والمبادرة. لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ[11].[10]﴾

فمن خلال هذه المداخل ارتأى "واضعو المنهاج" تأهيل الفرد (المتعلم) تأهيلا فكريا وسلوكيا، بقيم الإسلام السمحة، إلى أن يكون فاعلا نشيطا وفعالا في المجتمع، ذي أثر طيب يمتد ويتجاوزه إلى المحيط الاجتماعي والبيئي، في ظل الهدف الرئيس الذي خلق من أجله الإنسان ألا

---

[6] سورة الجمعة، الآية: 2.
[7] سورة الأحزاب، الآية: 21
[8] سورة الأنفال، الآية: 24
[9] سورة الحديد، الآية: 25
[10] سورة البقرة، الآية: 269
[11] مديرية المناهج، المرجع السابق، ص: 4.

وهو خلافة الأرض وإعمارها وعبادة الله. وذلك عبر تربيته على حسن الحوار والتواصل والتفاعل. ولذا اختار "واضعو المنهاج" و"مؤلفو المقررات" في باب التزكية سورا وآيات تكون بابا في الموضوع، حتى وإن كانت في موضوع آخر، لكنها لا تخلو من الطابع الحواري، الذي يكون إما بين الله ورسله، أو الله وعباده، أو الله ومخلوقاته، أو بين أهل النار وأهل الجنة، أو أهل النار فيما بينهم، إلى غير ذلك... وهنا نستحضر قصة أصحاب البستان، كمثال من مقرر المستوى السادس من التعليم الابتدائي، ودرس الإلحاد بين الوهم والحقيقة، من مقرر مستوى الثانية بكالوريا لجميع الشعب، وسورة يوسف عليه السلام، من مقرر مستوى الأولى بكالوريا لجميع شعب، وسورة الكهف، من مقرر مستوى جذع مشترك (السنة الأولى بالثانوي) لجميع الشعب.

وفي باب الاقتداء، وهو باب يقدم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، في علاقته بمحيطه، انطلاقا من أسرته، وكيف يتواصل مع زوجاته أولاده، إلى علاقته بالمؤمنين والكافرين وأهل الكتاب والناس أجمعين. حيث عليه الصلاة والسلام ينزل الناس منازلهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، ويجادل أهل الكتاب والكفار بالتي هي أحسن. ونمثل هنا بدرس "محمد الرسول صلى الله وعليه وسلم القائد"، لمستوى الثانية البكالوريا جميع الشعب. ودرس "الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا" لمستوى السادس الابتدائي.

وفي باب الاستجابة، تنصب الدروس كلها على استجابة الفرد (المتعلم) لأوامر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، والتزام بها، لأن الالتزام والاستجابة ستجعل المتعلم قادرا على الاختيار الأساليب الحوارية والتواصلية، والألفاظ والعبارات، والتقنيات المناسبة، لتحقيق الهدف وهو نشر الخير والتعاون من أجله. ولأن هذا الباب يغلب عليه الطابع الفقهي فيما يخص ضبط العبادة وسلوك وفق القرآن والسنة النبوية، فإن أي درس يندرج تحته يقدم في وضعيات تعلُّمية ذات طابع حواري.

أما في باب القسط والحكمة، اللتان يهدف من خلالهما "مؤلفو المقررات" و"واضعو المنهاج" إلى تأهيل المتعلم نحو اعتماد على المبادرة والإيجابية لتعميم النفع وخدمة الآخر كيفما كان نوعه أو جنسه أو لونه أو دينه. انطلاقا من كون هذا العمل يندرج ضمن مهمة خلافة الأرض وإعمارها، وانطلاقا أيضا من كونه ينتمي إلى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ولنا في حوار النبي إبراهيم عليه السلام مع أبيه من أجل الإيمان والابتعاد عن الكفر، وقصته عليه السلام في البحث عن الحقيقة، وقصة مريم عليها السلام في علاقتها مع قومها، وقصة آسية زوج فرعون... أفضل مثال لدروس المستوى الابتدائي.

إذا تأملنا دروس جميع مقررات مادة التربية الإسلامية، ابتداءا من الابتدائي حتى الثانوي، نجد أن موضوع الحوار الذي يقدم ضمنيا أو صراحة، يتضمن أصول وضوابط التي ينبغي على

كل مسلم أن يلتزم بها في علاقته الحوارية والتواصلية مع الآخرين ؛ مسلمين كانوا أو غير مسلمين. فنجد:

أولا: أهلية المحاور، من حيث الصفات المطلوبة في عنصري التحاور، وهي الصدق في القول والأمانة في النقل، والصراحة في الخطاب، فضلا عن الإيمان بقيم الإنسانية المشتركة.

ثانيا: أخلاقيات وأدبيات التحاور: ونقصد به ابتعاد واجتناب الخطاب العنيف القائم على إهانة الآخر، وتسفيهه وتبخيس مكانته، وتكذيبه بحق أو بباطل، والحط من كرامته. بل الواجب الالتزام بأخلاقيات حوار الأنبياء مع أقوامهم، التي تقوم على أساس الاحترام المتبادل، والتحاور بالأسلوب اللين، ومخاطبة المخالف بالحجة والبرهان.

ثالثا: مادة الحوار: وهو موضوع الذي يدور حوله الحوار، أو المحتوى الفكري أو العلمي أو الثقافي أو ير ذلك الذي يسعى أطراف الحوار إلى مناقشته، ومن ثم استخلاص النتائج تكون مقبولة أو محمودة بين الطرفين. وتعد مادة الحوار أهم وأبرز عناصر الحوار، ولذا ينبغي على أطراف الحوار تحديد وضبط موضوع محتوى الحوار، حتى لا يكون الحوار نقاشا بيزنطيا –كما يقال- لا يفضي إلى أي نتيجة.

رابعا: الضوابط التي تضبط مادة الحوار: والتي يمكن إجمالها في التركيز على الموضوعات التي تعود بالنفع على البشرية جمعاء، انطلاقا من كون الأصل في الإنسان هو الخير، ومن كون الإنسان المسلم صاحب رسالة هداية فهو ينظر إلى الآخر بعين الرحمة والشفقة، ويعمد دائما إلى اجتثاثه من براثين الكفر والشرك، ولا يرى في سبيل ذلك إلا البحث عن نقط الخير فيه وإبرازها وإظهارها وتقويتها لعلها تكون بالنسبة له هداية نحو الطريق، وفي ذات الوقت تعود بالنفع على الإنسانية. ولا يكون هذا إلا بالتزام بالمنهج المشترك وفي الوقت لا يخالف شريعة الله.

المحور الرابع: تدريس مقارنة الأديان

إن تدريس الحوار ضمن مادة التربية الإسلامية واستحضار أمثلة ونماذج حية من نصوص القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم للحوار الدائر بين الأنبياء وأتباعهم وذويهم، أو بين الحق والباطل، أو النصوص التي تدعوا إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، سيدفع بالضرورة إلى الحديث عن الحوار الديني الذي بدوره سيجرنا إلى مجال مقارنة الأديان ودراسة الأديان، لأن الحوار في إطار ديني مع الآخر يقتضي التعرف على يؤمن به ويعتقده انطلاقا من النصوص التي تؤطر دينه. وهذا واقع من غير شك، فكم من مرة يصادف الأساتذة أسئلة وموضوعات تطرح من قبل المتعلمين لها علاقة بما يعتقده ويؤمن به الآخر وما يميزه عنا أو ما نتميز به نحن عنه. خاصة مع متعلمي المرحلة الثانوية، حيث أن المتعلم في هذه المرحلة يكون مولعا بالاستكشاف وحب الاطلاع وزيادة المعرفة والبحث عن أجوبة لأسئلة مقلقة.

أولا: أسباب إدراج دراسة الأديان بالسلك الثانوي

إذن الأسباب التي تدفعنا إلى المطالبة بإقرار وإدراج هذا الحقل المعرفي ضمن مواد ومقررات السلك الثانوي، هي:

كون المتعلمين والمتعلمات في هذه المرحلة العمرية –كما أشرنا سابقا- في دوامة التفكير والبحث عن إجابات لأسئلة مقلقة، تتعلق بالعقائد بل بالوجود، تتعلق بالذات المسلمة وعلاقتها بالمحيط ، وتتعلق بالآخر البعيد عن الذات دينا وعقائديا والعلاقة التي تجمعه بالذات، وما محل وجوده وما مصيره ما دام أنه مختلف عنا ولماذا هو مختلف عنا، أو بالأخرى لماذا يصر على أن يضل مختلفا، إلى غير ذلك من الأسئلة التي لا يسعى من ورائها إلى البحث عن الجواب فحسب، وإنما يسعى إلى فهم الجواب واستيعابه، يعني أنه يبحث عن التبرير والكيف إنه يرغب في جواب سؤال لماذا؟ وإذا كان ذلك كذلك فكيف؟

المتعلم في هذه المرحلة وفي ظل التطور التكنولوجيا الرقمية وما أحدثته من الثورة التواصلية عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، يشاهد ويطالع ويتابع بشغف ثقافات شعوب وبلدان أخرى مختلفة عنه تمام الاختلاف، إما فضولا أو هكذا تلقائيا تبعا للموجة السائدة، بل تجده يقلدها ويقلد مشاهيرها بوعي منه أو بغير وعي، نظرا لتأثير الصورة والخطاب الإعلامي المحترف. وهو في هذه الحالة كثيرا ما تواجهه أسئلة ومواقف تخلق له صدمة معرفية وجدانية، فيبحث عن الجواب عند أستاذه الذي يدرسه مادة التربية الإسلامية، لأن المتعلم في هذه المرحلة –بالمغرب- ينظر إلى أستاذ هذه المادة على أنه فقيه وعالم ملم بكل التفاصيل الدينية وله جواب لكل شيء وهذا تصوره، إلى درجة أنه لا يتقبل فكرة أنه لا يعلم، إذن هي وظيفة صعبة وشاقة، لذا تجد أستاذ هذه المادة يطالع ويبحث ويتابع كل ما استجد وكل ما يروج من أفكار وثقافات ولو كانت مخلة.

أن المتعلم مقبل على الانتقال إلى الفضاء الجامعي الرحب، حيث الحرية الدينية في طرح أفكار ومناقشتها، وحيث التيارات الدينية والفكرية متعددة ومتنوعة، تطرح أفكارها وتصوراتها للحياة والإنسان وتعرضها أملا في استقطاب الطلبة الجدد. أو يكون من الذين يرغبون في الانتقال خارج أرض الوطن لمتابعة الدراسة في الدول غير المسلمة، فيجد نفسه في فضاء ثقافي وديني جديد، مغاير لدينيه ولثقافته الدينية بل مصادمة لها في العقيدة والعبادة ونمط العيش وطريقة التفكير وكل شيء تقريبا، وفي نفس الوقت يصطدم بقضايا وقيم مشابهة لما يدعو إليه الدين الإسلامي. أو يجد نفسه أيضا في مواجهة محاولة الإدماج داخل هذا المجتمع (إن كان منغلقا لا يقبل التعددية الثقافية) وتذويبه وانصهاره، فتنشط حوله حملات تبشيرية وتشكيكية، تشككه في اعتقاده ودينه وكل ما يؤمن وتبشره بالخلاص الذي وعدهم به دينهم وكتابهم الديني. وهنا وفي مثل هذه المواقف تظهر شخصية المتعلم المتلقي لهذه الأفكار، فإما أن يواجه أو يستسلم أو ينسحب ويرفض الكل

ويختار طريق الإلحاد، لأنه لا يملك آليات الفهم والاستيعاب الجيد والمواجهة والرد لكونه لم يطلع اطلاعا كافيا على دينه وأديان وثقافات أخرى.

أن المتعلم في هذه المرحلة، وفي ظل الانفتاح العالمي الذي توفره تقنية الاتصال والتواصل، يجد نفسه في مرمى حملات التبشير والتنصير الرقمي، باستمرار وبلغات مختلفة حتى العامية المحلية. إذ أن فضاء التواصل الاجتماعي يشهد نشاط صفحات التنصير المسيحي تدعو إلى المسيحية المحرفة كديانة للحب والمحبة. يوظفون في ذلك وفي استهداف هذه الفئة العمرية شتى الوسائل والطرق لإقناعها بالتحول إلى المسيحية، منها الاستدلال بالقرآن الكريم ذاته على أن المسيح عليه السلام ابن الله وحبيبه والعياذ بالله، وأن المسيحيين مؤمنون كاليهود والصابئة، فإن لم تنفع هذه الطريقة ينتقلون إلى الغواية والإغراء، وبما أن المراهقين في العالم الإسلامي منبهرون بالعالم الغربي وبحضارته المادية، فإن هذه الحركات التنصيرية وعبر الأنترنيت يستغلون هذه الثغرة، ويوهمونهم بتيسير الهجرة إلى بلاد الأحلام والرفاهية والسعادة. بل يصورون لهم أن الديانة المسيحية هي سبب هذه الرفاهية وهذا التقدم الحضاري الذي تعيشه الدول الغربية المسيحية، على عكس العالم الإسلامي الذي يرزح تحت الفقر والتهميش والفقر والحروب والصراعات الدموية، والسبب في ذلك حسب زعمهم هو الدين نفسه، لأنه دين عنف ودين سيف بخلاف المسيحية دين المحبة والأخوة. فكيف لدين –حسب زعمهم- الذي يعنف المرأة ويعتبرها ناقصة عقل ودين أن يسمو بالإنسان ويسهم في بناء حضارة راقية متحضرة.

موازاة مع ذلك تنشط مواقع وصفحات الإلحاد (الدهرية)، تشكك في الدين وتنكره، وتنكر وجود الله والحاجة إلى شرائعه. فتحشد لذلك أدلة كثيرة ومتنوعة وتقدمها على أساس أنها حقائق علمية وفي لبوس علمي، يظن المتعلم بسيط الإدراك والفهم أنها حقائق، بل أكثر من ذلك يشككون في الدين كلية ويعتبرونه من صنع الإنسان للتحكم في الناس كما تقول الماركسية، فيحشدون في سبيل ذلك أدلة توهم تضاد وتضارب الأديان فيما بينها، ودورها في المأساة الإنسان سواء في حياته الدنيا أو الآخرة. هذا بالإضافة إلى الحركات المثلية اللواطية والفجور الأخلاقي التي ما فتئت تظهر نفسها إلى العلن وتدعو جهارا إلى الفجور باسم الحرية الفردية المطلقة المنافية للأديان كلها.

ثانيا: أهمية تدريس الأديان

تكمن أهمية تدريس الأديان بالمرحلة الثانوية في النقط الآتية:

كون هذا العلم من العلوم الإنسانية التي تحتاجها الإنسانية في هذا العصر في إزالة الحواجز الجغرافية والنفسية والعقائدية والعرقية، التي تشكل عائقا أمام فهم الشعوب لبعضها البعض.

يلقي هذا العلم الضوء على عقائد الشعوب، ويدفع المتعلم إلى إدراك كيفية نظرتها للألوهية والنبوات والعالم الآخر، وكيف كانت الأساطير تشكل جزءا مهما من تلك العقائد.

يتعرف المتعلم مسيرة التطور والتحول الدينيين لدى الشعوب من التوحيد إلى الوثنية، ومن الوثنية إلى التوحيد.

يساعد في فهم التقاطع الحاصل بين القرآن الكريم والكتب الدينية الأخرى في بعض العقائد والعبادات والشرائع والأخلاق، وبعض الأحداث المرتبطة ببعض الأنبياء.[12]

يمكّن المتعلم من إكساب أهم العناصر والآليات للدفاع عن الإسلام ضد تحديات التي تواجه المسلمين، من قبيل التبشير والتنصير والتهويد والإلحاد. ولدعوة الآخر إلى الإسلام دين الرحمة بالتي هي أحسن.

بهذا العلم يعرف المتعلم تاريخ كل دين وما حدث له من خلل أو انحراف خلال رحلته الطويلة، وستقوده الدراسة إلى أن المسيحية المنتشرة اليوم ليست هي الديانة التي بعث بها عيسى عليه السلام وإنما هي من صنع بولس اليهودي كما يثبت ذلك علماء تاريخ الأديان في الحاضر، وأن ما دعا إليه عيسى السلام هو توحيد الله وعبادته واتباعه، وليس اتخاذه إلها أو ابن إله كما زعم بولس ومن جاء بعده. وأن اليهودية ليست بالشريعة التي بعث بها موسى عليه السلام، فقد حرف اليهود التوراة تبعا لهواهم بالحذف والزيادة والتبديل والتغيير حتى أضحت ديانة عرقية عنصرية خاصة بجنسهم دون سواهم، فهم شعب الله المختار والباقي أمميين خلقوا لخدمة هذا الشعب...[13]

ثالثا: كيفية تدريس الأديان بالمرحلة الثانوية

إن الإجابة عن سؤال كيف سندرس الأديان في بضعة أسطر لصعب جدا. لأنها تتعلق بمادة معرفية وحقل معرفي أصبح علما مستقلا بذاته، بل تشعبت عنه تخصصات علمية متعددة متنوعة. لهذا فالإجابة عن كيفية تنزيل هذا الحقل المعرفي إلى مادة قابلة للتدريس تراعي مستوى إدراك الفئة المستهدفة متروك لأهل التخصص في علوم التربية، طبعا بمساعدة الباحثين في علم الأديان. وكل ما سأقدمه من نقط متفرقة واقتراحات متنوعة فقط انطلاقا من كوني مدرسا، وكوني باحثا في الفكر الإسلامي ومقارنة الأديان.

إذن أقول وبالله التوفيق:

وكما أشرت في عنوان المداخلة "تدريس الأديان ضمن مادة التربية الإسلامية" أرى أن تسند هذه المادة لأستاذ مادة التربية الإسلامية، لأنها وبكل بساطة ستكون امتداد لتوضيح وتفسير الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأديان السابقة، وما لحقها من تحريف وتبديل وتغيير على يد الأحبار والرهبان والكهنة، وعلى يد من له هدف ينشده من وراء ما قام به من السياسيين والحكام

---

[12] ينظر: حسن الباش. (1432ه) (2011م). علم مقارنة الأديان: أصوله ومناهجه".(ط 1). دار قتيبة (دمشق ـ سوريا)، ص: 10-11.

[13] ينظر: منصة قلم للتعليم الإلكتروني (يونيو، 2022)
https://qalamedu.org/topic/أهمية-دراسة-علم-مقارنة-الأديان/?

المفسدين المستبدين الذين أرغموا الناس على الكفر بقوة السلاح. ثم إن أستاذ هذا المادة له من الاطلاع على مختلف العلوم الشرعية ما يؤهله لهذه المهمة، كالعقيدة والتفسير مثلا بالإضافة إلى المناظرات الدينية، فلا بد أنه وقف على عقائد أهل الكتاب في كتب علماء الإسلام الذين ناقشوا هذه العقائد ودحضوها بالنقل والعقل انطلاقا من كتبهم الدينية التي يقدسونها ويؤمنون بها، كأبي الحسن العامري ، وابن تيمية وابن حزم وأبي حامد الغزالي والشهرستاني وغيرهم....ثم كذلك لكون أستاذ هذه المادة له مكانة محترمة في نفوس المتعلمين من بين باقي أساتذة مواد الأخرى، لذا فالتأثير سيكون مختلفا إذا أسندت هذه المادة لأستاذ تخصص آخر حتى وإن كان قريبا من هذا المجال.

أرى أن تضاف حصة خاصة بالتثقيف الدين، تخصص لدراسة مختلف أديان العالم، بشكل تراعي المرحلة العمرية والفكرية للمتعلمين، بدءا بالأديان القريبة من الإسلام وهي ما يطلق عليها (بالأديان التوحيدية أو الأديان الإبراهيمية) اليهودية والمسيحية ثم الأديان الشبيهة بأهل الكتاب أو من لهم شبهة كتاب كالمجوسية والزراديشتية ثم الأديان الأسيوية كالبوذية والبراهمية والطاوية والتي يطلق عليها (الأديان الوضعية أو الأديان غير السماوية) لتقاطع بين هذه الأديان وكثبر من القضايا العقدية والتشريعية والأخلاقية التي ذكرها القرآن الكريم وشرعها، وتوضيح الأسباب التي أدت إلى تحريفها وتغييرها، ثم موقف الإسلام منها ومن الذين لم تبلغهم الدعوة الإسلامية بشكل صحيح، والمطلوب شرعا من المسلمين في التعامل مع أتباع هذه الأديان.

وحتى تكون المادة مشوقة وحيوية تجذب اهتمام الطلاب ويحبونها ينبغي أن نتجاوز تدريس هذه المادة بمنهج جدلي عقيم، وإن كان لا بد منه يجب أن يكون في حيز ضيق أو لا بأس به وبالتي هي أحسن تراعي أدبيات الحوار والمناظرة التي تهدف إلى إبراز الحق وتوضيحه من أجل اتباعه، والتركيز على المنهج التاريخي والوصفي ثم المقارنة، لأن المرحلة تقتضي التكوين العلمي في مجال الأديان وليس المناظرة أو الجدل. فالمنهج الوصفي يعرّف الطالب عقائد الأديان وكتبهم وعبادتهم ونمط تفكيرهم وموقفهم من الآخر، أما المنهج التاريخي يمكّن الطالب من معرفة تاريخ كل دين وانتشاره وتطوره والأسباب التي أدت إلى تحريف النصوص الدينية وافتراء الكذب على الأنبياء والرسل، أما المنهج المقارن فإنه سيساعد الطالب على إجراء مقارنة بين الإسلام والأديان الأخرى في العقيدة والأحكام والأخلاق وحتى على مستوى الإنتاج الحضاري.

أرى من الضروري ربط العلاقة بين العقيد والسلوك أثناء تدريس العقائد الدينية، أو الأثر الذي تخلقه هذه العقائد في سلوك الفرد والجماعة بشكل عام وفي علاقتها بمحيطها؛ لأن العقيدة هي المحرك الأساس لكل سلوك فردي أو جماعي، فليس ثمة سلوك أو أثر مادي يحدث هكذا عبثا دون خلفية دينية عقدية أو إيديلوجية، وهذا ما يسمى بالأثر الحضاري للدين وتدين الفرد والجماعة. حتى نجعل الطالب المتعلم يدرك أن الدين والأفكار الدينية والأيديولوجية تؤثر في حياة المجتمع

في كل تفاصيلها، تل توجه وتؤطر هذه الحياة، نرى ذلك مثلا في نمط بناء الأسرة والعائلات، وفي بناء المدن بمعابدها وأسواقها وشوارعها، وفي الأغاني والمسرح وكل الأشكال الثقافية للمجتمع، وفي طبيعة علاقة هذا المجتمع بالأرض التي يستعمرها ويقطنها، وفي علاقته بالوافد الغريب وبالآخر البعيد دينيا، وفي طبيعة نظام حكمه ونمط عيشه ونظام اقتصاده إلى غير ذلك ... فيخرج المتعلم بخلاصة جامعة مفادها أن كل سلوك وكل أثر حضاري إلا وله مرجع عقدي أو فكري؛ مثلا فالطريقة والرؤية والتصور التي شيد بها المسلمون قديما مدنهم تختلف جذريا عن نظيرتها المسيحية واليهودية والبوذية، لأن المسلمين كانوا مقيدين بالأحكام الفقهية حتى في بناء المدن حيث كان الجامع أو المسجد هو مركز المدينة، وهكذا قس على كل شيء. أظن أن هذه الفقرة إذا ما ركزت عليها في التدريس ستحرك الخيال الإبداعي للمتعلم وتجعله مرتبطا بالدين في أي عمل قام به ثقافيا كان أن هندسيا أو بيئيا، وتجعله متيقظا يفطن لخلفيات الأعمال الثقافية التي تعرض عليه عبر آليات النقد التي اكتسبها من قبل.

خاتمة:

في ختام هذا البحث أود أن أشير بل أؤكد بأن مادة التربية الإسلامية هي المادة الوحيدة من بين المواد الأخرى التي يمكن أن نصلح من خلالها الفرد والمجتمع والأمة، ونعيد بناء الوعي الإسلامي بالوظيفة الحقيقية للأمة الإسلامية، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر قيمة الحوار والتواصل والتفاعل الحضاري.

إن هذه المادة لها من القدرة على تشكيل النظام الدفاعي العقائدي للفرد والمجتمع تجاه كل الحملات التشكيكية والتبشيرية والإلحادية، ولها القدرة في بناء شخصية المسلم بناء رصينا تكسبه الثقة بالنفس والاعتزاز بدينه وشفقته على الآخر غير المسلم ودعوته إلى الإسلام بالتي هي أحسن يراعي أدبيات الحوار، إذا ما أدرجت ضمنها تدريس الأديان والعقائد الأخرى.

إن تدريس الأديان ضرورة ملحة تفرضها الظروف الراهنة، ولا يمكن أن ننظر إليها كأنها مادة ثانوية لا أهمية لها يمكن الاستغناء عنها، لأن الواقع المتسم بالانفتاح جعل من المتعلم في هذا السن بالضبط مستهدف من قبل كل الأفكار الدينية والأيديولوحية عبر وسائط متعددة ومتنوعة.

مصادر ومراجع البحث:

القرآن الكريم (رواية حفص).

- مجد الدين محمد، الفيروز آبادي. (1419هـ/1998م). القاموس المحيط.. ط 6 مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ص: 380-381. وابن منظور.(د.ت) لسان العرب.(د.ط). دار صادر. بيروت. لبنان.
- يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي. (1414هـ/1994م). الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. ط 1. دار التربية والتراث (مكة المكرمة). رمادي للنشر (الدمام).

- مديرية المناهج. (يونيو 2016). منهاج التربية الإسلامية لجميع المستويات الدراسية بالتعليم الابتدائي العمومي والخصوصي. د ط. الرباط- المغرب.
- قمر محمد بخيت ماجي. (د ت). إستراتيجية الحوار في القرآن الكريم. المؤتمر الرابع. الخطابة المناظرة والحوار: نحو تأصيل منهجية التمكين في مؤسساتنا التعليمية. مركز مناظرات قطر. 11-13 يناير2013. الدوحة. قطر. نشر بالاشتراك مع "QSCIENCE.com". الفصل العاشر. رابط المقال: 20030398/https://www.academia.edu
- عباس محجوب. (2006م). الحكمة والحوار" علاقة تبادلية".(د ط). جدار للكتاب العالمي (عمان ـ الأردن) وعلم الكتب الحديثة (إربد ـ الأردن).
- حسن الباش. (1432ه) (2011م). علم مقارنة الأديان: أصوله ومناهجه".(ط 1). دار قتيبة (دمشق ـ سوريا).
- منصة قلم للتعليم الإلكتروني (يونيو، 2022) https://qalamedu.org/topic/أهمية-دراسة-علم-مقارنة-الأديان/?
- موقع وزارة التربية الوطنية للمملكة المغربية: https://www.men.gov.ma
- منار التربية الإسلامية. (طبعة شتنبر 2017). الجذع المشتركة للتعليم الثانوي التأهيلي. (جميع الشعب).
- في رحاب التربية الإسلامية. (طبعة شتنبر 2017). السنة الأولى من سلك البكالوريا. (جميع الشعب).
- في رحاب التربية الإسلامية. (طبعة شتنبر 2017). السنة الثانية من سلك البكالوريا. (جميع الشعب).
- في رحاب التربية الإسلامية. (طبعة شتنبر 2016). السنة السادسة من التعليم الابتدائي.